مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

عَبْدُ الْمَجِيدِ عَبْدُ الصَّمَدِ

1961 - 1931

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

الشهيد

عبد المجيد عبد الصمد

1961 - 1931

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-64-5
الإيداع القانوني : 2010-4040

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ذَهبَ أَحْمَـدُ في زِيـارَةٍ سيَّاحِيَّـةٍ مَعَ عَمِّـهِ المُجَاهِدِ، إلىَ جِـبالِ «الأَوْرَاسِ». وَبَينَما كانَتِ السَّيارَةُ تَسيرُ بِهِما فِي طَريقٍ مُحاذِيَةٍ لِقمّةِ «شِلْيا» الشَّمَّاءِ، رَأَى أَحْمَدُ عَلَى جَانِبِها مَعْلَمًا تَذْكَارِيّا كُتِبَ عَلَيْه بِخَطٍّ أَسْوَدَ: هُنَاكَ فِي المَكانِ المُقابِلِ مِنْ جَبلِ «شِلْيا»؛ اسْتُشْهِدَ عَبْدُ المَجيدِ عَبْدُ الصَّمَد.

فَأَرادَ «أَحْمَدُ» أَنْ يَعْرِفَ قِصَّـةَ حَياةِ هذا الشَّهيدِ، وَرَاحَ يَطْرَحُ هَذَا السُّؤَالَ عَلىَ عَمّهِ الَّذِي قَالَ لَهُ: إِنَّهُ عَاشَ مَعَهُ، وَرَافَقَهُ فِي سَنَواتِ الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ: مَاذا تَعْرِفُ، يا عَمّي، عنْ حَيَاةِ الشّهِيد عَبْد الصَّمَد؟

الْعَمّ: أَعْرِفُ عَنْه الكَثِيرَ، لَقَدْ جاءَ إِلَى الحَياةِ فِي يَوْمِ 13 أُوت منْ سَنَةِ 1931م، فِي مَنْزِلِ جَدِّهِ بِقَرْيَةِ «تازولَتْ» الوَاقِعَةِ فِي وِلايَةِ باتنَة. عَاشَ فِي أَوَّلِ حَياتِهِ بِزَاوِيَةِ عائِلَتِهِ ـ «زاوِيَةِ سيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبدِ الصَّمدِ»- الَّتي بُنِيَتْ فِي فَجٍّ مِن فِجاجِ جَبلِ «بوعْرِيــف» فِي الجِهَــةِ الَّتِي تُطِـلُّ عَلى مَدِينَـةِ «باتْنَــة» مِنْ نـاحِيَتِها الشَّرْقِيَّةِ.

تَرعْرَعَ فِي صِبَاهُ بَيْنَ المُرُوجِ الخُضْرِ المُحِيطَةِ بِها، وسَواقي مِيَاهِها الرَّقْراقَةِ، وَقِمَمِ جِبَالِهَا الَّتِي تُغَطِّيهَا الثُّلوجُ شِتَاءً.

كانَ يَجولُ بِبَصَرِهِ فِي تِلْكَ المَنَاظِرِ الطَّبيعِيَّةِ فَرَأَى فِيهَا كُلَّ أَلْوَانِ الجَمَالِ وَمَعَانِي الجَلالِ، وَأَثَارَتْ فِي نَفْسِهِ حُبَّ التَّجْوَالِ وَالسِّيَاحَةِ.

كانَ «عبدُ المَجيدِ» فِي صِغَرِهِ طِفْلاً هادِئَ الطَّبْعِ، وَمُسَالِمًا مَعَ أَتْرَابِهِ؛ كَثيرَ التَّأَمُّلِ والتَّسَاؤُلِ عَنْ كُلِّ مَا يُحِيطُ به.

لَكِن بَرَاءَةَ الأَطْفَالِ دَفَعَتْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى تَسَلُّقِ شَجَرَةٍ، فَهَوَى بِهِ أَحَدُ أَغْصَانِهَا إِلَى الأَرْضِ، وَأُصِيبَ بِكَسْرٍ عَلَى مُسْتَوى الفَخِذِ أَلْزَمَهُ الفِرَاشَ عِدَّةَ أَسَابِيع.

أحمد: هَلْ نَالَ قِسْطًا مِنَ التَّعَلُّمِ في طُفُولَتِهِ؟

العَمّ: تَعلّمَ، فِي المَدْرَسَةِ القُرْآنِيَّةِ التّابِعةِ لِزَاوِيَةِ عَائِلَتِهِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ حِفْظِ ثَلاثِينَ حِزْبا مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ حِفْظًا مَقْبُولا.

أحمد: وَمَاذَا عنْ مَرْحَلَةِ شَبَابِهِ، يا عَمِّي؟

العَمّ: فِي سَنَةِ 1951م، أَيْ بعْدَ بُلوغِهِ سِنَّ الرُّشْدِ، خَطَرَتْ فِي بَالِهِ فِكْرَةُ الانْضِمامِ الطَّوْعِيِّ

إِلَى الجَيْشِ الفِرَنْسِيِّ لِيَدْفَعَ حَالَةَ الحَاجَةِ والفَقْرِ عنْ عَائِلَتِهِ.

أحمد: هَلْ نَفَّذَ فِكْرَتَهُ؟

العَمّ: نَعَم، لَقَدِ الْتَحَقَ بالثُّكْنَةِ العَسْكرِيَّةِ الكَائِنَةِ فِي قَصَبَةِ مَدِينَةِ «قَسَنْطِينَةِ». وَما إِنْ عَلِمَ وَالِدُهُ بِما أَقْدَمَ عَلَيْه، حَتَّى لَحِقَ بِهِ لِمَنْعِهِ مِنَ الالْتِحَاقِ بِالجَيْشِ الفِرَنْسِيِّ. لكِنَّهُ لمْ يُفْلِحْ، وَبَاءَت مُحَاوَلاتُهُ بِالفَشَلِ أَمَامَ إِصْرَارِ عَبْدِ المَجِيد.

وَبَعْد قَبُولِهِ فِي الجَيْشِ الفِرَنْسِيِّ، لمْ ينْسَ مُسَاعَدَةَ وَالِدِهِ، وظَلَّ يُخَصِّصُ مِنْ مِنْحَتِهِ مَبْلَغًا مِنَ الفِرَنْكاتِ فِي نِهايَةِ كُلِّ شَهْرٍ، يُرْسِلُهَا إِلَيْهِ لِيُخَفِّفَ عنْهُ ضَائِقَتَهُ المَادِيَّةَ.

أحمد: مَاذَا فَعَلَ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى الخِدْمَةَ العَسْكَرِيَّةَ في الجَيْش الفَرَنْسِي؟

فَكَّرَ في وَسِيلَةٍ أُخْرَى يُعاوِنُ بِهَا أَهْلَهُ، فهَاجَرَ بَحْثًا عَنِ العَمَلِ إِلَىَ «أَلْمَانِيا» وَأَقامَ بِهَا سَنَتيْنِ كامِلَتَيْنِ. وَهُناكَ، كُتِبَ لَهُ أَنْ يُعاوِدَهُ الكَسْرُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ فَتَوَقَّفَ مُدَّةً عَنِ العَمَلِ قَصْدَ العِلاَجِ، وَبَعْدَهَا عَادَ إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ، ثُمَّ اضْطَرّتْه الحَاجَةُ مَرَّةً أُخْرَى إلى الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ، وَعِنْدَ ذَلِكَ حُوِّلَ إلى «الفِيتْنام».

وَفِي «الفِيتْنام» تَرَكَ شَعْرَ لِحْيَتِهِ يَنْمُو وَيَكْبُرُ إِلىَ أَنْ أَصْبَحَتْ لِحْيَتُهُ صِفَةً مُلازِمَة لَهُ جِسْمِيّا، وَبِسَبَبِهَا حَمَلَ كُنْيَةَ: «بُولَحْيَة».

أحمد: وَمَاذَا عَنِ الشَّهِيدِ بَعْدَ حَرْبِ الفِيتْنَام؟

العَمّ: مَا إِنْ وَضَعَتِ الحَرْبُ في «الهِنْدِ - الصِّينِيَّة» أَوْزَارَهَا - وَمُنِيَتْ «فرَنْسَا» الاسْتِعمارِيَّةُ بِهزِيمَةٍ نَكْرَاءَ، كَسَرَتْ كِبْرِيَاءَهَا وَشَوْكَتَهَا - حتىَّ شَرَعَ يُفَكِّرُ فِي تَرْكِ

الجيْشِ الفَرَنْسيِّ، والعَوْدَةِ إلى الوَطَنِ الَّذِي اشْتَاقَ لِتُرْبَتِهِ وهَوَائِهِ، فَضْلاً عَنْ أَهْلِه.

أحمد: مَتَى عَادَ إلَى أَرْضِ الجَزَائِر؟

العم: فِي سَنَةِ 1955م، رَجَعَ إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ يَحْمِلُ عَلَى كَتِفَيْهِ رُتْبَة: «رَقيبْ أَوَّلْ». وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ، قَصَدَ أَرْضَ «الحِجَازِ» لأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ لَكِنَّهُ ذَكَرَ لِي شَخْصِيًا أَنَّهُ كَادَ يَقَعُ في قَبْضَةِ البُولِيس الفَرَنْسِي عِنْدَ عَوْدَتِهِ إلى الجَزَائر.

أحمد: كَيْفَ ذَلِك؟

العمّ: قَالَ لِي عِنْدَ عَوْدَتِهِ إِلَى الوَطَنِ إنَّهُ وَقَفَ في بَهْوِ مَحَطَّةِ القِطارِ بِمَدِينَةِ «بَاتنَة» مُخْفِيًا عَدَدًا مِنَ الْمُعَدَّاتِ؛ دَسَّها مُكَدَّسَةً فِي حَقَائِبِ أَمْتِعَتِهِ لتَهْرِيبِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ بإمْكَانِهِ أنْ يَنْجَحَ فِي التَّخَلُّصِ مِنْ

أَعْيُنِ الرِّقابَةِ المُكَثَّفَةِ، لَوْلاَ قُدْرَتُهُ علَى التَّسلُّلِ وَسَطَ المُسافِرِينَ بِخِفَّةٍ وَرَشاقَةٍ، غَيرَ خَائِفٍ أَوْ مُتَرَدِّدٍ. وَكانت ابْتِساماتُهُ المُصْطَنَعَةُ فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ يُقابِلُهُ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ التّخفّي وطَرْدِ الشُّكوك؛ وَبذلك اسْتَطاعَ أَنْ يَنْجُوَ مِنْ قَبْضَةِ شُرْطَةِ المَحَطَّةِ الّذِينَ كَانُوا يَسْهَرُونَ عَلَى مُعَايَنَةِ كُلِّ حَرَكَةٍ مُرِيبَةٍ.

وَهَكَذَا خَرَجَ مِن هَذَا المَوْقِفِ الخَطِيرِ يَحْمِلُ حَقائِبَهُ وَكِيسَيْنِ مَمْلُوءَيْنِ بِالمَلابِسِ العَسْكَرِيَّةِ وَبُنْدُقِيَّةً حَرْبِيَّةً وَذَخِيرَةً حَيَّةً مِنْ عِيارات مُخْتَلِفَةٍ. ثُمَّ قَامَ بِتسْلِيم تِلْكَ الأَشْيَاءِ إلى رَجُلٍ مِنْ مَعَارِفِهِ كَانَ قَدِ ضَرَبَ لَهُ مَوْعِدًا قُرْبَ المَحَطَّةِ.

أحمد: هَلْ أَبْدَى سِي عَبْدُ المَجِيد -بَعْدَ ذَلِكَ- الرَّغْبَةَ فِي الاِلْتِحَاقِ بِجَيْشِ التَّحْرِير؟

العمّ: نَعَمْ، لَقَدْ رَبَطَ الاِتِّصَالَ بِقِيَادَةِ المَنْطِقَةِ

لِتَرْتِيبِ انْضِمَامِهِ إلى جَيْشِ التَّحْرِيرِ، لَكِنَّ القِيَادَةَ كَلَّفَتْهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِتَصْفِيَةِ أَحَدِ أَعْوَانِ الاِسْتِعْمَارِ، فَنَفَّذَ تِلْكَ العَمَلِيّةَ وَقَضَى عَلَى ذَلِكَ العَمِيلِ فِي النَّاحِيةِ الثَّالِثَة –ناحِية بُوعرِيف– وَهَكَذَا التحقَ بِالثورة.

أحمد: هَلْ تَوَلَّى فِيمَا بَعدُ مَنْصِبًا قِيَادِيًّا؟

العم: نَعَم لَقَدْ تَوَلَّى قِيَادَةَ نَاحِيَة بُوعرِيف لِفَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ سنة 1957 ثُمَّ أُضِيفَتْ لَهُ قِيَادَةُ نَاحِيَةِ شِيلْيَا سَنَة 1958.

أحمد: حَدِّثْنِي، عَنْ أَهَمِّ أَعْمَالِهِ في الثَّوْرَة التَّحْرِيرِيَّة.

العَمّ: لَقَدْ أشْرَف الشهيد عَلَى عِدَّة مَعَارِكَ حَطَّمَ بِهَا مَعْنَوِيَّات العَدُو. وَمِنْ تِلْكَ المَعَارِكِ أَذْكُرُ مَعْرَكَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ، هُمَا: مَعْرَكَةُ مَنْطِقَةِ «عَيْنِ الخُيّان»

الَّتِي دَارَتْ فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ مِنْ جَبَلِ «بُوعْرِيف»، شَارَكَت فِيهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ المُجَاهِدِينَ قُدّرَ عَدَدُهُم بِخَمْسِينَ (50) مُجَاهِدا قَضَى فِيهَا المُجَاهِدُونَ عَلى عِدَّةِ عَسَاكِر.

ثُم مَعْرَكَةُ «الزَّاوِيَةِ» الَّتِي جَرَتْ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ «سَيدِي مُحَمَّدٍ بْنِ عَبدِ اللَه» فِي شِتَاءِ سَنَةِ 1957م.

وَهَذِهِ المعرَكَة الأَخِيرَةِ أَسْفَرَت عَنْ خَسَائِرَ لِلْعَدُوِّ، وَغَنْم بَعَضِ الأَسْلِحَة، قَادَ شَهِيدُنَا هُجُوما عنيفا عَلَى مَرْكَزِ الطِّبّ العَسْكَرِيّ فِي قَرْيَةِ «المَعْذَر»، هَزَّ بِهِ ثِقَةَ العَدُوِّ بِنَفْسِهِ وَأَفْقَدَهُ رُشْدَهُ وَصَوَابَهُ، جَرَّاءَ مَا خَلَّفَهُ مِنْ خَسَائِرَ بَشَرِيَّةٍ كَبِيرَة في صُفُوفِه، غَيْرَ أَنَّ هَجَمَاتِ المُجَاهِدِين عَلى مَرَاكِزِ العَدُوِّ أَخَذَتْ تَقِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ.

أحمد: مَا سَبَبُ ذَلِكَ يَا عَمِّ؟

العمّ: يَعُودُ ذَلِكَ إلى النَّقْصِ الكَبِيرِ فِي السِّلاَحِ والذَّخِيرَةِ الحَرْبِيَّةِ لَدَى المُجَاهِدِين.

أحمد: هَلْ وَجَدَ المُجَاهِدُونَ حَلاً لِذَلِك؟

العمَّ: نعم وتَمَثَّل ذَلِكَ في انتِقَالِ البَعْضِ مِنْهُمْ إلى الخَارِجِ بُغْيَةَ الحُصُولِ عَلَى السِّلاَحِ، مُعَرِّضِينَ أنفسَهُمْ لِخَطَرِ خَطِّ «مُوريسْ» الَّذِي يَفْصِلَ الجَزَائِرَ عنِ العَالَمَ الخَارِجِيّ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ المَجِيدِ الَّذِي انْتَقَلَ إلى تُونِس.

أحمد: وكيفَ وَاجَهَ عبدُ المَجيد خَطَّ موريس؟

العم: فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ 1959م، عِنْدَمَا كَانَ رَاجِعا مِنْ «تُونَسِ» مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المُجَاهِدِينَ مُزَوَّدِينَ بِأَسْلِحَةٍ يَبْغُونَ إِدْخَالَهَا إِلَى «الجَزَائِرِ» قَابَلَتْهُمْ صُعُوبَةُ اخْتِرَاقِ خَطِّ «مُوريسْ» الشَّائِكِ

وَالمَزْرُوعِ بِالأَلْغَام. وَمِنْ أَجْلِ ضَمَانِ المُرُورِ فِي أَمْنٍ وَسَلاَم، ظَلَّ يَرْقُبُ مِنْ بَعِيدٍ بِمَنْظَارِهِ تَحَرُّكَاتِ جَيْشِ العَدُوِّ المُكَلَّفِ بِحِرَاسَةِ الحُدُودِ فِي تِلْكَ النِّقَاطِ؛ لِتَحْدِيدِ أَنْسَبِ المَعَابِرِ. وَبِشَجَاعَةٍ نَادِرَةٍ، قَرَّرَ المُجَازَفَةَ بِالمُرُورِ لَيْلاً قُرْبَ نُقْطَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ أَحَدِ مَرَاكِزِ الحِرَاسَةِ، وَقَدْ وُفِّقَ فِي تَقْدِيرَاتِهِ، وَاسْتَطَاعَ اجْتِيَازَ الحُدُودِ هُوَ وَرِفَاقُهُ بِسَلاَم.

أحمد: مَتَى وَأَيْنَ فَازَ بِالشَّهَادَةِ، يَا عَمِّي؟.

العم: شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ أَنْ تَصْعَدَ رُوحُهُ إلى اللَّهِ فِي مَيْدَانِ الشَّرَفِ، فَظَفِرَ بِالشَّهَادَةِ فِي اليَوْمِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ دِيسَمْبَر 1961م، بَعْدَ أَنْ قَادَ مَعْرَكَةً فِي البُقْعَةِ المَعْرُوفَةِ بِاسْم: «خَنْقَةِ بَالْوَكِيل» فِي سَفْحِ إِحْدَى قِمَمِ جَبَلِ «شَلْيَا» الشَّامِخِ، وَلَمَّا اشْتَدَّتِ المَعْرَكَةُ، تَرَجَّاهُ أَحَدُ المُجَاهِدِينَ أَنْ يَنْسَحِبَ تَحْتَ جُنْحِ سَحَابَةٍ من الغُبَارِ، كَانَتْ تَمْلأُ السَّاحَةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ:

(مَهْلاً، مَهْلاً.. لاَ تَسْتَعْجِلْنِي، إِنَّنِي أَشُمُّ رَائِحَةً آتِيَّةً مِنَ السَّمَاءِ لَمْ أَشُمَّهَا قَبْلَ اليَوْمِ)!....

وَبَيْنَمَا كَانَ يَسْتَعِـــدُّ مَعَ ثَلاَثَـــةٍ مِنْ إِخْوَانِهِ الْمُجَاهِدِينَ للتَّسَلُّلِ إِلَى جَوْفِ نَفَقٍ صَخْرِيٍّ مُظْلِمٍ، لِلاِحْتِمَاءِ بِهِ، عَلِقَتْ قَشَّابِيَّتُهُ الصُّوفِيَّةُ فِي حَجَرٍ مُسَنَّنٍ، فَتَخَلَّصَ مِنْهَا وَرَمَاهَـــا. وَمَا إِنْ أَبْصَرَتْهُم طَائِرَةُ العَدُوِّ حَتَّى أَمْطَرَتْهُمْ بِرَصَاصٍ كَثِيفٍ، وَبِمَوَادَّ سَامَّةٍ خَنَقَت أَنْفَاسَهُـم فأَهْلَكَتْهُـم؛ جَمِيعًا وَفَازُوا بِالشَّهَادَةِ.

الْمَجْدُ وَالْخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ